

عنوان المقال: الثورات الشعبية في
منطقة بريكة 1916/1830 م

الباحث: أسامة الطيب جعيل
المؤسسة: جامعة الجزائر 02
أبو القاسم سعد الله

البريد الإلكتروني: tayeb9912@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/10 تاريخ القبول: 2020/03/11 تاريخ النشر: 2020/03/31

الثورات الشعبية في منطقة بريكة 1916/1830 م

ملخص

مع دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر و توسعه نحو المدن الداخلية محاولاً فرض السيطرة على كل المدن و القبائل ، جابهت هذا الاحتلال العديد من المقاومات الشعبية المنتظمة والغير المنتظمة من طرف سكان الجزائر ، و عرفت منطقة بريكة قيام العديد من الثورات ضد المحتل الفرنسي منذ تقدمه نحو المنطقة إلى غاية عام 1916 وهو عام آخر ثورة شعبية بالمنطقة ، كانت مجمل هذه الثورات ذات طابع شعبي لحماية للأرض موجهة من كبار الأعراس ونتيجة لنشاط أتباع الطريقة الرحمانية بالمنطقة ، ثم رفضاً للتجنيد الإجباري لأبناء المنطقة ضمن الجيش الفرنسي .

الكلمات المفتاحية : الاحتلال الفرنسي ، الثورات الشعبية ، بريكة ، ثورة الهيدوق ، ثورة الأوراس.

Abstract :

with the French occupation entering Algeria and expanding toward the internal cities in an attempt to impose control on all cities and tribes, was met by many regular and irregular popular resistance from the citizens of Algeria. The region of Barika has known that many revolts against the French occupier have taken place since its advance toward the region until 1916, the last year of a popular revolution in the region, all of which were popular in nature, as a result of

the activity of the Rahmaniya method in the region. He then refused to forcibly recruit the citizens of the region within the French army.

Keywords : French occupation , popular revolts , Barika , Hidoug Revolution , aures revolution.

المقدمة

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر و توسعه نحو المناطق الداخلية ، وصلت أوائل هاته القوات لبريكة عام 1842 ، ثم بموجب قرار 15 أفريل 1845 تكونت المكاتب العربية بمحيط قسنطينة العسكري منها المكتب العربي بمدينة بريكة ، تبعها تأسيس مركز بلدية بريكة بموجب مرسوم 10 ديسمبر 1873 سرعان ما تحول إلى بلدية مختلطة ذات مساحة شاسعة تضم العديد من البلديات والدواوير والأعراش .

وكان لنشاط شيوخ القبائل و الزوايا من زعماء رويحيين ييثون الحماسة في الناس لمقاومة المستعمر ، نتجت عنها بروز مقاومات شعبية منظمة وغير منظمة شارك فيها أهل بريكة مثل ثورة الزعاطشة 1849 ثم ثورة بريكة أو تمرد أولاد سحنون الذي قتل فيه رئيس المكتب العربي عام 1849 ، ثم مشاركة أهل بريكة في ثورة بوختناش عام 1860 ، ثم المشاركة في ثورة المقراني سنة 1871 ، و أخيرا ثورة بريكة 1916 وماعرفت بثورة العيدون الهيدوق التي كانت نتيجة لسياسة التجنيد الإجباري .

01-لمحة تاريخية عن مدينة بريكة

تعتبر مدينة بريكة إحدى المدن التاريخية التي ظهرت منذ القرن الوسيط المتأخر ، وقبل ظهور هذه المدينة تاريخيا سبقتها إحدى أهم مدن بلاد المغرب ألا وهي مدينة طبنة التي عرفت بأنها عاصمة بلاد المغرب الإسلامي بعد سقوط القيروان بيد الخوارج ، ثم عاصمة لإقليم الزاب⁽¹⁾ ، وعمرت هذه المدينة حوالي أربعة عشر قرنا إلى غاية اندثارها و خلوها من السكان نهاية القرن الثالث عشر⁽²⁾.

وأول نص تاريخي يذكر ظهور طوبونيم " بريكة " ، انفرد به صاحب كتاب "زهر البستان في تاريخ دولة بني زيان" حيث ذكر أنه في شوال من عام 759هـ/1357م " خرج أبو حمو الزياني الثاني و أقام في باريكا عند شيخ قبيلة بني عامر صغير بن عامر⁽³⁾ الذي قام بمبايعة أبي حمو الثاني وتلاه على البيعة كافة بني عامر وكل بطل مشهور ، أعطوه صفقة أيديهم ، على الوفاء بالعهود ، والحماية من المكروه ، و العصد ... " ⁽⁴⁾

ثم يأتي ذكرها في رحلة الورتلاني (ت 1193هـ/1779م) ، حيث يقول عنها : " فنزلنا قرب بريكة ، وهي أرض طيبة و فيها نهر جار مثل النيل ، و هي لسيدي محمد الحاج يتقاتل عليها أولاد دراج فيما بينهم ... " ⁽⁵⁾.

ومع تقدم الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة الشرقية ، تم تكوين مكتب عربي ببريكة بموجب أمر 15 أفريل 1845 ، وأول ضابط للمكتب العربي بريكة عين سنة 1858 هو الجنرال "شوليزو" ، ثم أصدر الجنرال الفرنسي - سوسيه - قرارا في 10 ديسمبر 1873 ينص على إنشاء قوة عسكرية بقيادة ضابط في موقع بريكة الحالي وبدأ العمل في 01 مارس 1874 يقوده النقيب - لوسطوك- ، سبب هذا القرار هو حصار الأعراش لبرج (القيادة) آنذاك بمقرة سنة 1871 وامتداد ثورة المقراني لأعراش الحضنة الشرقية ، وكانت نتائجها وخيمة حيث تمت معاقبة الأعراش الثائرة ومصادرة أراضيها.

أما مركز مدينة بريكة هو عبارة عن ملحقة من أجل السيطرة ومراقبة أعراش الحضنة الشرقية الثائرة ، وضمت في بادئ الأمر أعراش أولاد سحنون جميعها والزوي (أولاد سيدي أحمد بن بلقاسم ، الضحاوي ، أولاد سيدي عثمان ، أولاد الخضرة) وأولاد عمر وأولاد نجاع ، السلالة أولاد علي بن صابور أولاد سلام وأولاد سلطان وعرفت بعدها بعض التغييرات بحذف بعض الأعراش وإحاقهم ببلديات أخرى⁽⁶⁾.

و بموجب قرار في 17 فيفري 1885 أصبحت الملحقة مستقلة وماليا ، وفي سنة 1886 أنشأت البلدية المختلطة - ماكماهون - عين التوتة وضمت إليها بعض الأعراش التي كانت تتبع ملحقة

- بريكة، وتم الإنشاء الرسمي لبلدية بريكة المختلطة يوم 05 أكتوبر 1905⁽⁷⁾.
 بلغ عدد سكان منطقة بريكة و ما جاوره عام 1886 : 11583 نسمة موزعة كالتالي :
- * أولاد سحنون :5230 نسمة.
 - * أولاد عمر:2141 نسمة.
 - * الزوي:1671 نسمة.
 - * السلالحة:1313 نسمة.
 - * أولاد نجاع:1202 نسمة.⁽⁸⁾

02- الزوايا والطرق الصوفية في منطقة بريكة :

يعود انتشار ظاهرة التصوف في بلاد المغرب الإسلامي إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي أثناء حكم المرابطين ، ثم ترسخت و تغلغلت بين طبقات المجتمع المغربي أيام الموحدين ، حيث ازدهرت الحركة الصوفية بتأثير الزاهد الأندلسي أبو مدين شعيب بن الحسين (520-590هـ/1126-1197م) ، الذي يعد شيخ الصوفية بكل الأقطار المغربية و الأندلسية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي ، ومع بلوغ القرن الرابع عشر ميلادي كانت الحركة الصوفية قد لعبت دورا أساسيا في رسم معالم الحياة الدينية و الاجتماعية في الجزائر ، حيث أصبحت لا تقتصر على جماعة من الزاهدين بل بكل طبقات المجتمع ورسخت و تغلغلت وسط التقاليد الشعبية ، وأصبح الناس يؤمنون بالأولياء وكراماتهم وأقبلوا ينخرطون في الزوايا ، ومع حلول القرن السادس عشر شاعت الطرق الصوفية في الجزائر ، وساعد ذلك الوجود العثماني الذي عمد إلى الاستعانة بهذه الطرق و الزوايا لحكم الجزائريين ، فتحالفت مع المشايخ ورجال الدين ومنحتهم الاستقلال الذاتي مقابل دفع ضرائب للحكومة و الاعتراف بالتبعية للسلطة العثمانية قبل أن تسوء العلاقة بين شيوخ الطرق و الدولة العثمانية بسبب الضائقة المادية مطلع القرن التاسع عشر مما أدى إلى ظهور ثورات مختلفة مثل ثورة ابن الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري عام 1802 ، وثورة ابن

الأحرش بالشرق الجزائري عام 1804 منبهة للعلاقة مع السلطة العثمانية في العديد من المناطق⁽⁹⁾.

أما بمنطقة الحضنة و بريكة ، فقد تواجدت الطرق الصوفية و الزوايا منذ العهد العثماني ، و انتشرت أكثر في المنطقة بعد ثورة المقراني 1871 ، وأهم هذه الطرق المنتشرة هي الطريقة الرحمانية ، وكان لهذه الزوايا جهود بارزة في التعليم حسب الطريقة التقليدية ، أما عدد هذه الزوايا في المنطقة التي وجدت بالمفهوم الواسع فهو لا يعدو الأضرحة التي ارتبطت بشخصيات المرابطين و الأولياء الصالحين⁽¹⁰⁾ ، تصدّ شيوخ هذه الزوايا و الطرق إلى المشروع الثقافي الاستعماري الفرنسي ، وذلك من خلال استمرار عملية التعليم في المساجد و الزوايا و الجوامع ، و بالتالي المحافظة على المقومات الوطنية من تاريخ و لغة و دين و عادات و تقاليد نابغة من خصوصيات المجتمع الحضني ، الذي ظل محافظا على هذه الخصوصيات ولم يتأثر بمؤثرات الحضارة الغربية⁽¹¹⁾.

03- الثورات الشعبية في منطقة بريكة 1830-1916 :

نجح شيوخ الطرق الصوفية وخاصة الرحمانية في التعبئة الجماهيرية للثورة ضد المحتل الفرنسي بمنطقة بريكة و الحضنة الشرقية ، حيث ما إن وصلت طلائع الطريقة الرحمانية حتى التف حولها الناس ، و أول ثورة أسهم فيها سكان المنطقة هي ثورة ابن الأحرش الذي ثار عام 1803 ضد العثمانيين بالشرق الجزائري وشاركت معه قبائل المنطقة فيها⁽¹²⁾، حيث حاول شاكر باي القضاء على حلف قبائل الحضنة مع بلحشر فتقدم جيش الباي إلى المنطقة و تصدى لهم سكان المنطقة ببريكة عام 1817 و مني الجيش بهزيمة نكراء .

ثم جاءت مشاركة سكان منطقة الحضنة و بريكة في ثورة الزعاطشة 1849 بدعوات من أصحاب الطريقة الرحمانية ، لكن نتائج هذه المشاركة كانت وخيمة على سكان المنطقة بعد تهجيرهم و ترحيلهم من مناطقهم الأصلية و الاستيلاء على أراضيهم .

أما أهم الثورات التي قامت بمنطقة بريكة بدعم من شيوخ الزوايا والطرق الصوفية نجد :

1-3 ثورة محمد بوختناش 1860 :

مطلع شهر مارس من عام 1860م ، ظهر شخص من فرقة البراكتية ثورة أولاد عمر بمنطقة الحضنة الشرقية ، حيث أن تأثيرات شيوخ ومقدمي الطرق الصوفية لعبت دورا بارزا في التحضير لهذه الثورة ، بالإضافة إلى التصرفات التي بدرت من طرف القيادة التي عينتهم فرنسا على المنطقة مثل القايد بن داخة و القايد بيبي في إذكاء نار الثورة⁽¹³⁾.

توجه القايد بيبي إلى باتنة يوم 10 مارس 1860م مبلغا أن رجلا من أولاد رايح يدعى محمد بوختناش يدعو أنه مبعوث من شريف السوس الأقصى و أنه يتكلم على الجهاد ، وانضم إليه الشيخ السي العربي باش عدل أولاد سحنون ، وسي أحمدباي من أولاد منصور ، فأرسل الكولونيل المسؤول بباتنة شخصا لتقصي الحقائق و الذي بعد تنقله أكد المعلومات ، فتقرر إرسال مجموعتين من المجموعة الثامنة لقناصي فرنسا ، ووصلت إلى بريكة بعد يومين ، وفي اليوم الموالي وصلت إلى بريكة فرقة عسكرية أخرى من الزواف و المشاة الخفيفة الإفريقية ومجموعة من الرماة⁽¹⁴⁾ .

استطاع بوختناش أن يستميل عروشا بأكملها من أولاد سحنون و أولاد منصور ، و أولاد دراج و اولاد نجاع و أولاد عمر و كثيرا من الناس ، أحست فرنسا بخطر الأوضاع في الحضنة فتحرك الجنرال ديفو devaux بتاريخ 20 مارس من قسنطينة على رأس قوة عسكرية متوجهة إلى مخيم الكولونيل ديمارتس الذي جعل قبالة الحضنة جهة جبال بوطالب ، كما تم أمر قادة مقاطعة المدية و سور الغزلان بالتوجه إلى الحضنة ، ووصلت حملة النقيب بان pain إلى بريكة يوم 20 مارس ، كما تحركت حملة الكولونيل ديمارتس من سطيف يوم 22 مارس 1860 بفرقة من الصبايحية من أجل مباغته الثوار من الخلف ، ووقعت معركة أولى يوم 23 مارس 1860م

بين القوتين أدت إلى الكثير من القتلى و الجرحى ، وقدرت قوة جيش بوختناش الأعراش المجاورة ب 1800 بندقية (15) .

بعد تجمع كل القوات الفرنسية وقع الالتحام و المعركة الكبرى يوم 25 مارس 1860م في موقع يعرف بسم خنق أم الحمام ، حيث استبسلت قوات أعراش الحضنة ووقع التصادم بالسلاح الأبيض ، إلا أن قوة الجيش الفرنسي و تنظيمه أدى إلى تحطيم معسكر الشيخ بوختناش ، وقتل الشيخ العربي شيخ أولاد سحنون و تم تحطيم عرش أولاد عمر الذي أرغم على تسليم الشيخ بوختناش للقوات الفرنسية ، وكانت النهاية وخيمة على كل من شارك في هذه الثورة من تهجير و مصادرة للأراضي ، وقد دون أحد الشعراء هذه المعركة في قصيدة مطلعها :

يا راعي الملجوم ريض أمهل لي ****وعودك من الأبعاد جاء عرقه يقطر
تعلمي ما صار في الحضنة **** فيما بين النصارى وأولاد عمر
خبر جاني مع النجوع الحق لي **** وحرمة الأبطال عامت على البر
فتنة خنق أم حمام قعدت محكية **** يا معتاه النهار في جر أم عمر (16)

2-3 ثورة سكان منطقة بريكة بقيادة العيدين الهيدوق أفريل 1916 :

وحقيقتها أنه وفي أوائل شهر جويلية 1915 كانت حملة الحصاد قد بدأت بالمنطقة التي كان يحكمها النقيب ماسونيه مع قلة من جنود السبايس ، وعلى حين غرة قامت مجموعة من المواطنين المخلصين بحرق جميع محاصيل الباشاغا بن قانة الذي كان باسطا نفوذه من بسكرة إلى المسيلة ، مستغلين بذلك غيابه عن المنطقة ، وحين أدركه الخبر أدرك يقينا أن إفلاسه سيكون على يد أهل بريكة ، فقرر الاستقرار ببسكرة لكونها الهدأ من بريكة في ذلك الحين.

هذه الحملة قادها ودبرها المجاهد الشهيد العيدين الهيدوق رفقة ثلة من المواطنين ، ومنهم شباح الطاهر بن برة ، دومي محمد بن دومي ، حاجي الطاهر من أولاد منصور بلدية مقرة ، وآخرون انظموا إلى المجموعة والثورة ، بعد أن اشتعل فتيلها وأكل لهيبتها محصود الباشاغا

بن قانة الذي انتقل إلى قسنطينة طالبا المدد من السلطات الإدارية والعسكرية ضد من يسميهم هو و أمثاله من الصعاليك بالصعاليك فوافقت السلطات على الفور بإرسال قوات و فرقت إلى ناحية باتنة وبالأخص بريكة التي تشهد اضطرابات كثيرة⁽¹⁷⁾.

وكان قانون التعبئة العامة قد صدر في 02 سبتمبر 1914 ليجند الشباب وليرسل إلى فرنسا لقتال الألمان بعد 15 يوما وصلت الفرق تحت إرشاد جنود مقيمين في باتنة ونصبت الخيام حول برج النقيب ماسونييه لحماية مكاتب الإدارة والسجن ، وبعد أربعة أيام من الراحة بدأت تدق طبول التطوع في الجيش الفرنسي ، إلا أنه وفي بداية شهر أكتوبر، ذاق المستدمر الفرنسي ذرعا بفشله فراح يجند الشباب بالقوة ولم يسلم من ذلك الكهل و لا ذوي العاهات ، وزج بالكل في ساحة السجن التي نصبت قرب غرفة الأموات التي بنيت في زاوية حديقة رئيس الدائرة والحديقة العمومية (هوازي بومدين حاليا) ، وفي هذه المرحلة كانت المنطقة تشهد احتجاجات بدأ يتسع نطاقها بسبب الاعتقالات التعسفية والتجنيد المباشر⁽¹⁸⁾.

مع بداية شهر مارس 1916 وأمام هذه الوضعية والإجراءات التعسفية ضد المجندين الذين مات بعضهم جوعا ، بدأ عدد السكان يتضاعف بتوافد السكان من مختلف أنحاء المناطق والقبائل الأخرى ، وهنا أحس الجميع بأن أمرا ما سيحدث ، فضاعف المتصرف الحراسة والاتصالات واستدعى إليه الزوي " أولاد سيدي عثمان من عين الكلبة " واعتقل من اعتقل ، وكان من بين المعتقلين رجل يسمى أحمد ، هو ابن العيدون الهيدوق " فتدخل هذا الأخير وبكل شجاعة وجرأة لا تتوافر عند أي كان بتاريخ 10 أبريل 1916 و توجه إلى مكتب المتصرف فاعتقله حرسه الشخصي ، و أُخبر المتصرف بذلك فخرج على الفور ناسيا بزته الرسمية وقبعته النظامية ، وبحركة من يده أزاح الحرس وتقدم نحو العيدون الهيدوق - من مواليد سنة 1875 ببريكة - وسأله ماذا تريد ؟ فرد الهيدوق : جئت أحرر ولدي المسجون منذ أكثر من أسبوع ، إذا حدث له أي مكروه أو سوء معاملة ، فسأقتل كل الناس ، فقال ماسونييه : ابنك أحمد يجب أن يذهب ليقا تل إلى جانب فرنسا فهناك الحرب ... اذهب ، فرد العيدون الهيدوق : أريد أن احتفظ بابني إلى جانبي ولا أريد أن يرحل إلى بلادكم ، فهنا الجزائر وهناك فرنسا ، وهنا أمر المتصرف باعتقاله ، وفي الصباح أطلق سراحه ولدى خروجه من السجن تحدث إلى الجنود قائلا : لقد أنذرتكم ..وعد من الهيدوق⁽¹⁹⁾.

وفي فجر 13 أبريل 1916 انطلقت قافلة مكونة من 20 عربة تغص بالمجندين مربوطين إلى

بعضهم البعض ، وكان عليهما أن تقتفي أثر قافلة البريد التي انطلقت بعد ثلاثة أيام من خروج العيودن الهيدوق من السجن وهنا انتقل الخبر بسرعة وانتشر بين مختلف القبائل كالنار في الهشيم ، وتجمع حشد من الرجال محملين بالأسلحة يذكرهم التاريخ بأسمائهم " العيودن الهيدوق بن أحمد بن العيفة ، حامد وناس ، حي حامة بن علي ، لهميسي بن العجايي ، شباح الطاهر بن برة ، مهوي حميدة بن القتال ، ميلود الطاهر بن حامية ، حاجي الطاهر ، دومي بن الدومي⁽²⁰⁾ ، وكانت الخطة تقتضي مرور القافلة ثلاث محطات المحطة الأولى وهي محطة القريديات " تيلاطو حاليا " ثم المحطة الثانية عين التوتة والثالثة والأخيرة باتنة. وقبيل انطلاق هذه القافلة كانت ثمة قافلة أخرى تضم الرجال الذين ذكروا أنفاً ، قد غادرت بركة كل على راحته طالبين المدد والعون لأولادهم من الخذران ، فكان لهم ما أرادوه ووضعت تحت تصرفهم الخيول والأسلحة وعند انطلاق الحافلة ، كان هناك حشد من النسوة يبكين أبناءهن وإخوانهن وأزواجهن لأنهم سيقوا إلى المجهول ، أما عن الرجال المدججين بالأسلحة فقد انطلقت من بينهم صيحات " الجهاد في سبيل الله " وحدث تبادل لإطلاق النار على الجموع المعزولة والمسلحة فسقط عدد بين جريح وقتيل وتفرق الجمع في الأودية وكانوا يرمون الجنود الراجلين مع القافلة بالحجارة فتعرضت القافلة أثناء الراحة إلى هجوم الثائرين من جهة الجنوب على مسلك طريق باتنة حاليا ، ومن أسفل وادي بريش " شمال هذا المسلك " فقتلوا بضع عشرات من الجنود وأطلقوا سراح الخيول وسلموها من كانوا في حاجة إليها وفر باقي الجنود باتجاه عين التوتة متخليين عن المال و المؤونة وغيرهما وأحرقت المراكب في عين المكان ، وانسحب الثائرون إلى جبل متليلي أين نُظِم تجمع على تعليمات من الهيدوق وتم توجيه المسجونين سابقا مشيا على الأقدام عبر الحقول نحو بركة ، ثم رسمت خطة الليل التي تقتضي بالهجوم على عين التوتة ، وانظم إلى الثائرين سكان جبال معافة و أولاد عوف وكل المناطق المجاورة في نفس اليوم ، واستفادوا بأسبقية معرفتهم بالأرض وأحرقوا في نفس الليلة عين التوتة ، وبلغ ذلك العدو ، فأرسل إلى عين المكان مئات الجنود المسلحين والمدعمين بالفرسان ونشبت معارك عنيفة قتل خلالها عدد من الطرفين بقي في عين المكان ، وقد قاوم الثائرون أياما عديدة حرموا خلالها من المدد ما اضطرهم إلى الانقسام إلى مجموعتين ، مجموعة الجبليين الذين سماهم المستدمر بثوار الأوراس ، ومجموعة مقاتلو سقانة و بركة من بينهم عمر أوموسى من أولاد سلطان الذين تراجعوا نحو سفيان وأحرقوا أول مزرعة

للكولون في بومقر قبل أن يواجهوا جنود العدو بمدخل قرية نقاوس ، واستمر هذا القتال العنيف عدة أيام انتصر فيها الثوار على الجنود الفرنسيين (21).

• إعلان أول جمهورية جزائرية يوم 26 أبريل 1916 ونهاية الانتفاضة :

تجمع الثوار في المكان المسمى عين بومقر بين نقاوس وبومقر ، وأعلنوا لأول مرة في تاريخ الجزائر عن ميلاد أول جمهورية جزائرية كان ذلك في 26 أبريل 1916 ، بعد ذلك حدث قمع شرس على المنطقة فقبض على الرجال وقتل أكثرهم (22).

وخلال إحدى المطاردات على مشارف العطوطة بريكة ، شوهده العجابي الطاهر بن العجابي في راح فانقض عليه الجنود لكنه امتطى الحصان حافي القدمين من دون سلاح ، ولكنه تلقى رصاصة في ظهره ليسقط شهيدا في المكان المسمى النوخة ، وفي الليل قام معارفه بدفنه ، أما عن العيدون الهيدوق رجل الثورة فقد سجن في سطيف طيلة عامين ، وتلقى عدة عروض خاصة بالأراضي الفلاحية المسماة "الصفيحة" وبالأخص التي كانت مستغلة من طرف أوائل المعمرين الفرنسيين بسطيف ، وفي أحد الأيام حاول رئيس الدائرة أن يذهب به إلى فرنسا بعد أن عمل على إخراجه من السجن ، و عرض عليه قائلاً " اسمع العيدون ! إذا أردت أن تصبح صديقا لفرنسا فان كل الصفيحة ستكون لك ، وأنا الذي سأعطيك سند الملكية لك ولأولادك " ، فرد سريعا " اسمعني أنت أيضا ، الله يصفح عليها وعلى أهلها "بمعنى اللعنة عليها وعلى أهلها ليبقى هذا المثل سائرا في بريكة الى اليوم ، بعد هذا الرفض و المساومة والخنوع والذل كان مع "بن قسمية حاج قسمية ، مزغيش الحواس ، حارك قويدر بن علي ، فني مبارك بن فني ، خرزي عزيز بن أحمد ، قسوم لخضر بن قسوم ، صالح بن علي بن دراجي ، شق الطين منصور ، شريف العلمي بن دومة ورفاقه " ، ونقلوا الى ناحية سعيدة بالمكان المسمى عين تاغظميت ووضعوا تحت الإقامة الجبرية طيلة خمس سنوات مات خلالها بن قسمية حاج قسمية ، وخلال هذه الفترة كان الهيدوق يدعو الله أن يرى بريكة قبل الممات فكان له ما تمنى ، ووافته المنية سنة 1922.

أما عن ابنه العيدون أحمد بن الهيدوق فقد توفي سنة 1948 في سن 50 سنة في ظروف عادية

ببريكة دون أن يؤدي الخدمة العسكرية . وكذلك توفي دومي بن دومي في عين التوتة والحاج الطاهر في سفبان كانت هذه الثورة شرارة لثورة الأوراس الكبرى التي بدأت شهر نوفمبر من نفس العام و لم تنته إلا مع شهر ماي من عام 1917⁽²³⁾.

3-3 ثورة الأوراس ضد التجنيد الإجباري 1916-1917 .

• اندلاع الثورة في منطقة بريكة :

عملت الإدارة الفرنسية على فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين وقامت بمباشرة عملية الإحصاء والتسجيل في منتصف شهر أوت 1916 من أجل تحقيق هدفين استعماريين ، تمثل الأول في إحصاء الشباب و تقديمهم إلى الخدمة العسكرية الإجبارية لتدعيم صفوف القوات العسكرية الفرنسية على جبهات القتال ، و ثانيا إحصاء الرجال الجزائريين لإجبارهم على العمل في المصانع الفرنسية في الجزائر وفرنسا للهوض بالاقتصاد الفرنسي المتدهور⁽²⁴⁾.

و قد رفض الجزائريون ذلك لأنهم لا يرغبون في العمل في المصانع الفرنسية ولا التجنيد للحرب لصالح فرنسا الاستعمارية التي تحتل أراضيهم و تستغل أبنائهم ، وقد تصاعد هذا الرفض ووصل إلى ذروته خلال شهر أكتوبر 1916 ، وحسب التقارير الرسمية الفرنسية قام سكان منطقة بريكة وبوسعادة بعملية العصيان ورفض تسجيل أبنائهم من قبل الإدارة الاستعمارية و صمموا على التصدي و الوقوف في وجه السياسة الاستعمارية ، ولما قام رئيس دائرة باتنة بزيارة إلى منطقة بريكة واجهه السكان بقولهم : "إننا نفضل رؤية أبنائنا يموتون في الجزائر على موتهم في فرنسا"⁽²⁵⁾.

على الرغم من استخفاف الفرنسيين بالوضع ، فإن سكان منطقة بريكة فجروا الثورة خلال شهر أكتوبر 1916 و هاجموا المناطق الفرنسية و قاموا بقطع خطوط الهاتف و الاتصالات و دخلوا في معارك ضد الفرق العسكرية الفرنسية المتمركزة بالمنطقة مما أجبر الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال " ليتو " (lutaud) على الإقرار بخطورة الوضع وشدته وظهر ذلك في برقية أرسلها إلى وزير الداخلية الفرنسي يوم 15 أكتوبر 1916 أكد له فيها مهاجمة الثوار لقافلة التموين الفرنسية و هي في طريقها إلى منطقة بريكة مما أدى إلى جرح ضابطين و ضياع

ثلاثة أحصنة ، و تمكن ما بقي من القافلة – بعد انسحاب الثوار – من الوصول إلى المدينة بصعوبة كبيرة (26).

ووفقا لنفس التقرير فقد نجح الثوار في عزل المدينة و البلديات المجاورة ومنعوا عنها جميع الاتصالات، وانتشروا في الجبال المجاورة وتحصنوا بها والتف حولهم السكان من جميع المشاتي و الدواوير المحيطة بها ، و بدأ الثوار ينسقون عملهم مع المناطق المجاورة كعين التوتة وغيرها . وقد أعاد الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الثورة في بريكة إضافة إلى التجنيد الإجباري الذي رفضه كل الجزائريين ، إلى تعرض سكان المنطقة إلى الإبادة الجماعية خلال ثورات 1871 و 1879 و التي تركت آثارها الوخيمة على السكان الذين حاولوا تجنب التصادم مع القوات الاستعمارية لكنهم أجبروا على ذلك.

لقد دفع أبناء المنطقة أبنائهم إلى التجنيد في فرق الرماة ، ووجد الجزائريون أنفسهم أمام سياسة تعسفية خلال صيف 1916 مما دفعهم إلى الذهاب إلى الحراش (الجزائر العاصمة) و الاتصال بأبنائهم في فرق الرماة و دعوتهم إلى التمرد و الخروج عن صفوف الجيش الفرنسي ، ثم نظموا احتجاجا وقاموا بطرد الحاكم الإداري من مدينة بريكة يوم 24 سبتمبر 1916 ، ثم هددوا رئيس الدائرة المسمى cassinelu الذي استخف بوضعهم و استمر في محاولة إقناعهم بدفع أبنائهم إلى التجنيد ، ولم يلبث أن فر تحت السكان ، ثم اندلعت الثورة بمهاجمة الفرقة العسكرية الفرنسية المتمركزة بالمدينة .

ووصف الحاكم العام خطوات تطور الثورة وفق النقاط التالية :

- تجمع السكان حول الأعداد الكبيرة من الشبان الجزائريين الفارين من صفوف الجيش الفرنسي بأسلحتهم سواء منهم المجندين إجباريا أو العاملين في صفوف الرماة الجزائريين أو فرق الصبايحية و التحصن في الجبال ، وانظم إليهم الرافضون للتجنيد الإجباري ، و نظموا أنفسهم في شكل فرق مقاومة للقوات العسكرية الفرنسية .
- تفشي الأفكار الجهادية بينهم و انتشار أفكار العرائض التي قدمتها النخبة الجزائرية إلى السلطات الفرنسية ، المطالبة بتعديل القانون ومراعاة مصالح الجزائريين و المساواة بينهم و بين الفرنسيين .

- التصدي للقوات الاستعمارية التي خضعت لأوامر هيئة الأركان العامة لإجبار الشباب على التجنيد بالقوة و اعتبروا ذلك احتقارا لهم و المساس بكرامتهم .
- شجعهم ذلك رفض الجزائريين جميعا لتجنيد أبنائهم للموت من أجل فرنسا الاستعمارية في حرب ظالمة لا تخصهم.⁽²⁷⁾

وقد حاولت الإدارة الاستعمارية أن تنسب أسباب هذه الانتفاضة إلى الحماس الديني و نشاط الزوايا و الطرق الدينية و معارضة مرسومي 07 و 14 سبتمبر 1916 ، الذين يقضيان بتسخير الناس للعمل رغم أنوفهم في أغراض الحرب لتعويض المجندين الراضين و الهاربين ، كما حاولت كذلك أن تنسبها إلى الدعاية الألمانية المعادية لفرنسا و رحيل القوات الفرنسية من الجزائر إلى جبهات القتال بأوربا ، و لم تحاول إطلاقا أن تجعل للعنصر الوطني و الفكرة الوطنية مكانا ضمن أسباب هذه الانتفاضة .

إن السبب الظاهر و المباشر لهذه الانتفاضة هو رفض التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين على غرار أحداث بني شقران عام 1914 ، و ذلك على عكس ما كانت تتوقعه الإدارة الاستعمارية من إقبال الناس على التجنيد لإيجاد حل أو حلول لمشاكلهم الاقتصادية المتدهورة خلال أعوام 1914-1916 .

ومن أجل ذلك وجهت لجنة الشؤون الخارجية للمجلس الوطني النيابي الفرنسي دعوة شديدة اللهجة للحكومة فيما نوع من الصرامة لتؤمن الدفع المنتظم للتعويضات المطلوبة لعائلات المجندين ولكنها لم تعر للدعوة الاهتمام المطلوب ، فلم تسلم سوى مخصصات 121 أسرة من بين 466 أسرة حسب تقرير أوكتاف دوپون Octave depon المفتش العام للبلديات المختلطة الذي رفعه للجهات المختصة يوم 01 سبتمبر 1917 .

أما وزير الحرب الفرنسي فكان يرى أن كثرة قتلى الرماة الجزائريين في جبهات الحرب بأوربا هو السبب في ثورة سكان الأوراس و الجنوب القسنطيني ورفضهم لقبول التجنيد الإجباري ، إذ سجلت وزارة الحرب الفرنسية 7822 قتيلًا و 30354 جريحًا و 2611 أسيرا لغاية 07 أكتوبر 1916 ، ولم ينسى وزير الحرب أن يشير إلى مصادرة أراضي السكان في مطلع القرن في عين التوتة و مروانة و بركة لإنشاء مراكز توطين أوروبية لها دخل كذلك في ثورة السكان .

وهناك من زعم بأن مراسيم شهر سبتمبر 1916، كانت وراء هذه الانتفاضة ففي يوم 7 سبتمبر صدر مرسوم ينص على السماح بتعطيل العمل بحق الإعفاء من التجنيد والتعويض والاستخلاف، وفي يوم 14 منه صدر مرسوم آخر يقضي بتسخير العمال رغما عنهم في الأعمال التي تدعم جبهة الحرب، وتخدم أغراضها وهي إجراءات تسمح لإدارة الفرنسية بالتجنيد العام للكبار والصغار دون مراعاة لأي اعتبار.

وعندما اشتد غضب السكان اضطرت الوالي العام لوتو يوم 22 سبتمبر أن يعلن على تأجيل تطبيق المرسومين. وأيدته وزارة الحرب، وعادت إلى رأيه فيما بعد، وفي يوم 16 أكتوبر تم الإبلاغ بقانون الإعفاء الجديد الذي يقضي بعدم إعفاء إخوة المتطوعين في الجيش من التجنيد.⁽²⁸⁾

وقد أنجز على هذا النظام إعفاء الأسر الغنية من الخدمة العسكرية بواسطة تحليلات غير شريفة من ضمنها شراء المجندين المتطوعين الضخام الأجسام، الثقيلي الوزن بسعر 20 إلى 30 فرنكا للكيلوغرام الواحد في الشمال، وأكثر من ذلك في الجنوب، وقامت شبه أسواق خاصة للتجار بالرجال الذين يباع الواحد منهم بسعر 2000 إلى 3000 فرنكا وأحيانا أكثر من ذلك خاصة عام 1916م.

ولما كان الأعيان هم الذين كان بمقدورهم توفير المستخلصين للخدمة العسكرية، فإنهم كانوا يدفعون مبالغ طائلة لأسر المجندين، وللإعفاءات المشروعة، والتسريجات التي تحددها القرعة، وتسبب ذلك في انتشار الرشاوي بين الرؤساء، وشيوخ القبائل لأن الذي يرفض دفع الرشوة لا يأمن من تجنيده هو، أو ابنه أو أخوه.

وحتى العمل بالسخرة ربط بقوائم التجنيد العسكري، وتكلف الأعيان بتعيين من يدعي للعمل في فرنسا، ومن يعفى من ذلك، وذكرت أحد التقارير بأن الأغا بوحفص بن شنوف كان يطلب مبلغ 500 فرنك لإعفاء شخص واحد من الخدمة العسكرية وأن شيوخ بريكة كانوا يطلبون مبلغ 20 فرنك للحصول على الإعفاء.⁽²⁹⁾

وبالطبع فإن الطبقات الفقيرة هي التي كانت مضطرة لتقديم شبابها للتجنيد في الجيش ، وتسخير كهولها للعمل في المشاريع التي تخدم أغراض الحرب ، لأنها لا تملك الأموال التي تمكنها من تقديم الرشاوي وشراء الإعفاء لشبابها ، ورجالها ، وهذا ما جعلها ترتمي في أحضان الثورة والتمرد حسب التقارير الفرنسية .

وقد زعمت الإدارة الاستعمارية كذلك بأن الدعاية الألمانية لها دخل في هذه الانتفاضة ، وأكد دوبون ذلك في تقريره، وعضده الحاكم العام لوتو ، وأقحموا حتى السنوسية بليبيا في القضية ، وذكروا أنها تعد لثورة في تونس ، وجنوب الجزائر الصحراوي بمساعدة ضباط أترك ، وألمان ، ونمساويين ، وراجت لدى الأهالي مقولة قدوم أجنب لمساعدة بني بوسليمان بالمدافع ، وقدوم جيش عثماني للنجدة حالما تندلع الثورة وحتى اسم الأمير خالد أقحم هو الآخر في هذه الحوادث.

وقد خلص أجيرون في بحثه وتحليله لهذه الانتفاضة ، إلى القول بأن حركة الثورة والتمرد في الجنوب القسنطيني لا يمكن أن تقارن بثورات القرن التاسع عشر ، ولا صلة لها بالزوايا و الطرقية ، وتناحر الأسر والعائلات الكبيرة ، ولا بخلو البلاد من القوات العسكرية كما حصل عام 1870 و 1871 ، وإنما هي رد فعل تلقائي جماعي ، ضد مطالب السلطات العسكرية الاستعمارية التي لا تطاق ، والمتمثلة في التجنيد الإجباري للشباب ، والسخرة للعمال الكبار (30).

ولكن أجيرون لم يحاول أن يجعل للفكر الوطنية مكانا في هذه الانتفاضة ، وان انتقد بكثرة ، وبشدة أحيانا ، السياسة الاستعمارية ، وتقاريرها ، وان كل ثورة في الجزائر وراءها رغبة ملحة ، في طرد الاستعمار الأوروبي ، وتحقيق استعادة الحرية والاستقلال الوطني حتى ولو لم يعبر عنها صراحة بسبب الضغط الاستعماري ، والباحثون الفرنسيون يعرفون ذلك ويدركونه ، ومنهم أجيرون ، ولكنهم يتغاضون عنه ويتجاهلونه (31).

● بوادر الانتفاضة :

تعود بوادر الانتفاضة إلى منتصف عام 1914 عندما بدأت السلطات الاستعمارية تحضر لعمليات الإحصاء والتجنيد الإجباري للشبان الجزائريين .

ففي خلال شهر أوت لاحظ حاكم بلدية بريكة ، استعداد الناس للعصيان والتمرد ، وفر 34 شابا من دوار سقانة ، وسفیان إلى الجبال المجاورة خلال شهر سبتمبر ، وأعلن سكان بلديات بريكة ، وبلزمة ، وخنشلة، بصفة جماعية ، أنهم يفضلون الموت على تقديم أبناءهم للتجنيد لتحصدهم مدافع الألمان وأكدوا لحكام المنطقة بأنهم على استعداد لتقديم أي شيء يطلبونه منهم ما عدا أبناءهم .

وإزاء هذا الإصرار ، أخذت السلطات الفرنسية تلوح باستعمال القوة ، ووجهت كتيبة عسكرية إلى منطقة الأوراس قامت بعدة تحركات وتنقلات مريبة فيما بين 29 أكتوبر ، و 11 نوفمبر 1914 ، وجندت 123 رجلا في دائرة الأوراس خلال هذا العام و 246 شخصا خلال العام الموالي و 506 رجلا خلال عام 1916 م .

وتطور عدد المتطوعين المستخلفين على الشكل التالي: 75 رجلا عام 1914 ، و 38 رجلا في العام الموالي : و 419 رجلا عام 1916 م .

وعندما شرعت السلطات العسكرية في تجنيد الشبان البالغين الخدمة العسكرية ابتداء من يوم 2 أوت 1916 في بريكة ، وغيرها بدأت احتجاجات الناس تكثر وتشتد خاصة بعد أن أشيع إحصاء الأفواج التي ستجند عام 1917 وتسخير العمال الكبار من أعمار 18_45 للعمل في أغراض الحرب بفرنسا كذلك⁽³²⁾.

وفي يوم 24 سبتمبر 1916 ، ذهب زانتاكسي ZANNETACCI رئيس بلدية بريكة إلى دوار متكعوك ليسجل الشبان الجزائريين في قوائم المجندين فتقدم وفد من سكان الدوار وأكدوا له

رفضهم القاطع لتقديم أبنائهم للتجنيد ، وأعلنوا بأنهم يفضلون موتهم بالجزائر ، وقد فروا فعلا من الدوار والتحقوا بالجبال .

وفي أول أكتوبر ذهب كاسينلي CASSENELI رئيس دائرة باتنة ، إلى نفس الدوار و الدواوير المجاورة لنفس الغرض ، فرفض الناس كعادتهم تقديم أبنائهم للتجنيد كذلك وفشل في اعتقال بعض القصارى الشبان ، فقرر كل من عامل عمالة قسنطينة ، والجزائر إرسال كتيبة عسكرية للإرهاب والتهديد ، فتوجهت إلى هناك ، واضطرت للانسحاب بسبب الرفض القاطع الذي جوهت به من طرف السكان .

وقد فر مئات الشبان المطلوبين للتسجيل إلى الجبال عام 1916 ، وظهرت مجموعات منهم أخذت تقطع الطرق وتتعرض للقوافل ، وتم تسجيل 18 حادث اعتداء فيما بين 25 أكتوبر و 8 نوفمبر 1916 منها خمسة ضد أوروبيين .

وقد احتج أعيان مدن الشمال القسنطيني ضد استدعاء الشباب للخدمة العسكرية عام 1917 ، وضد تسخير الكبار للعمل ، وأكدوا في عريضتهم إلى السلطات الفرنسية بتاريخ 26 سبتمبر 1916 ، بأن تخليهم عن نسائهم وأطفالهم ، وأموالهم ، والذهاب إلى فرنسا ، لخدمة أغراض الحرب ، مسألة فوق طاقتهم . وفعل مثلهم أعيان ناحية باتنة ، وكذلك أعيان شلغوم العيد الذي قدموا عريضتهم منذ 13 سبتمبر 1916 ، وأخذ الرماة القناصة يفرون من وحداتهم ، ففر من تقرت 65 صبايحيا ، ومن بسكرة 42 فارسا ، وارتفع عدد الهاربين في نهاية عام 1916 ، حتى وصل إلى أكثر من 3000 رجلا اعتصموا بالمناطق الجبلية .⁽³³⁾

• انتشار وتوسع نطاق الثورة:

اندلعت الحوادث الكبرى للثورة يومي 10 و 11 نوفمبر 1916 وامتدت بقاياها لغاية نهاية أبريل و أوائل ماي 1917 و ذلك في المنطقة الممتدة بين بريكة في الحضنة غربا إلى غاية جبال ششار بالأوراس شرقا وتركزت في ثلاث مناطق رئيسية :

- 1- بريكة و متليلي و بلزمة .
 - 2- جبال الأوراس الشرقية و ششار .
 - 3- جبال بوعريف و فجوج بين عين كرشة و خنشلة .
- وعمت أكثر من 23 دوارا من ضمن 113 دوارا منها : بريكة ، متكعوك ، مقرة ، عين الكلبة (عين الخضراء) ، سقانة ، سفيان ، أولاد سليمان ، نقاوس ، مروانة ، مركونده ، أولاد عوف ، أولاد شليح ، الشمرة ، جرمة ، أولاد عمر ، ششار ، زلاطو
- ففي يوم 10 نوفمبر 1916 أبلغ الوالي العام لوتو الحكومة الفرنسية بأن سكان الجنوب القسنطيني رفضوا التجنيد الإجباري وقاوموه منذ شهر سبتمبر السابق ، و أن قافلة عسكرية صغيرة أرسلت إلى بريكة لمواجهة الأحداث اضطرت أن تندسج و تراجع بسبب هيجان السكان وتخوف شيخ بلدية الأوراس من أن يهاجم الغاضبون قري مدينته .
- وفي ليلة 11 نوفمبر 1916 ، هاجم جمع من الثوار مزرعة المعمر قرانجي Grangier في بلدية بريكة ، و أحرقوها و خربوها وقطعوا خط الهاتف الذي يربط بين بريكة و نقاوس ، وفي نفس الليلة هاجم جمع من ثوار دوار أولاد عوف يتراوح عددهم بين 1000 و 1500 رجل برج ماكماهون مقر بلدية عين التوتة بقيادة شيخ سقانة المقدم محمد بن الحاج بلوديني ومحمد بن النوي من متليلي فأحرقوا البرج و خربوه ، وقتلوا المتصرف المتصرف المدني كاسنلي Cassinelli وحاكم دائة باتنة الذي كان هناك لدراسة الأوضاع ، وتمكن المقدم الرحماني صحراوي من إنقاذ زوجة المتصرف و بنتيه ، و قُتل حوالي 12 شخصا خلال هذا الهجوم⁽³⁴⁾.
- وفي نفس الليلة هاجم الثوار مزرعة المعمر راينال Raynal في مركز فيكتور دوري ومنزل حارس غابة محطة تامارين في دوار تيلاطو بمتليلي و قتلوا الحارس ، و هاجموا مزرعة لأحد المعمرين قرب نقاوس وحاصروا مدينة بريكة حتى يوم 14 نوفمبر ، ثم هاجموا فرقة جنود الزواف قرب قرية سقانة بدوار تيلاطو في نفس اليوم ثم أعادوا الكرة يوم 18 نوفمبر 1916 ، وفي يوم 14 نوفمبر كذلك هوجمت كتيبة تموين كانت متجهة إلى بريكة وقتل ستة من أفرادها ، وتمرد سكان دواوير بلزمة والتحق ثوارهم بالغابات المجاورة خاصة مستاوة و متليلي ، و رفض خمسة دواوير في بلدية عين مليلة شمالا تقديم رجالهم للتجنيد خاصة دوار عين كرشة والتحقوا

بجبال قريون و الفجوج و بوعريف ، و تمكنا من اختطاف بعض المجندين و أخذوهم معهم إلى الجبال .

وكان هدف المتمردين حسب اعتراف الإدارة الفرنسية نفسها هو تخليص إخوانهم الشبان المسجلين و المجندين فعلا ، و ذلك ما كان يمثل الجانب السلبي و الضعيف في موقفهم و حركتهم ، فاستعملته القوات الفرنسية لتطعنهم و تضع حدا سريعا لتمردهم ، وقد ارتفع عدد الثوار بمرور الأيام و الأسابيع حتى وصل إلى 3000 رجل و قيل إلى 4000 رجل ، و كثر عدد الفارين من الفرسان القناصة و الصبايحية من وحداتهم ، ففر 45 صبايحية من لواء فرسان تقرت ، و 42 فارسا من لواء بسكرة ، و بلغ عددهم في نهاية ديسمبر 1916 حوالي 3214 رجلا بينهم 286 ينتمون إلى دائرة باتنة .

وقد انتظم بعض الفارين في مجموعات خاصة أخذت تمارس اعتراض القوافل و العسكريين الفرنسيين ، من أبرز زعماء بعض هذه المجموعات : علي بن أحمد بن زلماط و أخوه المسعود في الأوراس ، اللذان اعتصما بالجبال منذ 1917 إلى عام 1921 ، وابن علي محمد بن النوي من متليبي الذي ألقى عليه القبض في شهر فيفري 1917 و حكم عليه بالإعدام بتهمة قتله للمتصرف المدني بعين التوتة ليلة 11 نوفمبر 1916.⁽³⁵⁾

• رد فعل الإدارة الاستعمارية :

واجهت الإدارة الاستعمارية هذه لانتفاضة بالعنف و القسوة و الشدة كعادتها و كلفت خمسة كتائب من الجنود السنغاليين الذين كانوا متمركزين في مدينة بسكرة بملاحقة الثوار ، و كان عددهم حوالي ستة آلاف جندي يتسمون بالغلظة و الشدة و سوء الأخلاق و عدم الرحمة و قساوة القلب ، فقاموا بإحراق القرى و المشاتي و إفراغ المطامير و سلب ما بها من الحبوب و مصادرة الحيوانات و انتهاك أعراض النساء و تعذيب الأطفال ، و ارتكبوا مجزرة رهيبة بأهل دوار أولاد مسعود .

ولم تجد السلطات الاستعمارية ما تبرر به عجزها أمام قوات الثورة سوى الضعف العددي للقوات العسكرية المتمركزة بمنطقة بسكرة و التي – حسب التقارير الرسمية – لم يكن يتعدى 85 جنديا من فرقة الصبايحية ، مما دفع النقيب قائد الملحق العسكرية إلى تجنيد 100 من فرق القوم (الحركة) ، وهذا الوضع يدل على قوة الثورة و عنفوانها و مباغتتها

للفرنسيين الذين ازدادوا دهشة أمام انتصاراتها وقوتها و سرعة انتشارها مما جعل الحاكم العام يطلب النجدة و التدخل من وزير الداخلية لدى وزير الحربية ليدعمه بالمال و العتاد ، ولم تجد القوات الفرنسية أمامها سوى البطش بالمدنيين و نشر الرعب في الدواوير و سلب أموال و متابعة المواطنين في كل مكان وهو ما شهدت به التقارير الفرنسية التي ذكرت أن قواتها قامت يوم 19 نوفمبر 1916 بمهاجمة السكان بمنطقة متليلي المعزولة و بطشت بالسكان محاولة منها لإعادة طرق الاتصالات لنشاطها السابق و تأمين مرور قواتها .

وقد أكد الحاكم العام في تقريره المؤرخ في 21 نوفمبر 1916 فشل الضغوطات التي مارسها قواته بل إن الثورة ازدادت شراسة و توسعا في مناطق الأوراس و متليلي خاصة في جبالها الكثيفة و منطقة القنطرة التي تمركز ثوارها نحو الجنوب و منطقة بلزمة و جبالها الوعرة و منطقة بسكرة التي توسع بها الثوار منذ 1914).⁽³⁶⁾

و ساهمت إلى جانب القوات السنغالية ثمانية كتائب من جنود الزواف في الهجومات المضادة ضد الثورة منذ يوم 18 نوفمبر بعد تسعة أيام من اندلاع أحداثها ، وفي يوم 30 نوفمبر طلب الجنرال بوفنال bonneval من الحاكم العام لوتو ، أن يرسل إليه نجدات جديدة بعد أن هاجم الثوار قافلة عسكرية قرب واد الماء وقتلوا منها أربعة رجال يوم 21 نوفمبر ، وكان طلبه أن ترسل إليه الحكومة الفرنسية لوائين عسكريين و طائرات مقاتلة لمواجهة الموقف المتدهور و إرهاب السكان المتمردين ، فأرسلت لواء المشاة رقم 250 من جهة القتال بأوروبا وانضم إلى لواء السنغاليين ، فأصبح مجموع القوات المسخرة لمحاربة الثوار 13892 عسكريا و 275 ضابطا ، وأمرت طائرات فارمان Ferman في تونس بالتحليق على المنطقة لمحاربة الثائرين الذين حدد لهم أجل 30 نوفمبر ليستسلموا و يسلموا سلاحهم .

وفي الفترة الممتدة ما بين 19 و 30 نوفمبر قامت هذه القوات العسكرية بتمشيط المنطقة و اقتحام مغاورها ومخابئها في بريكة و الحضنة و متليلي و مستاوة و جبل ششار ، وواصلت عملياتها حتى ديسمبر 1916 و شهر جانفي 1917 ، و في أوائل شهر فيفري شرعت طائرات فارمان وعددها ستة في التحليق بالمنطقة انطلاقا من قواعدها بتونس ، وفي يوم 12 فيفري 1917 أخذت تقذف القرى و تقبل الأماكن المشكوكة ، وأصيب ثلاث طائرات زعمة فرنسا أنها أصيبت بعطب فني و ليس من طرف الثوار .

وقد انتهت حوادث هذه الانتفاضة مع نهاية شهر أفريل و أوائل ماي 1917 ، وبلغ مجموع قتلى الفرنسيين 15 رجلا و جرح 30 ، بينما بلغ قتلى الجزائريين 100 شخصا حسب تقرير المفتش العام أوكتاف دوبون .⁽³⁷⁾

• محاكمة الثوار:

اعتقلت السلطات الاستعمارية 2904 شخصا قدمت منهم 825 شابا غير رشيد إلى محاكم تأديبية و 165 شخصا رشيدا إلى المجلس العسكري بقسنطينة ، فأدانت المجالس التأديبية 805 من غير الراشدين وحكمت عليهم بما مجموعه 715 عاما و شهرين و تسعة أيام سجنا ، و 22810 فرنك غرامة ، و قدم 45 متهما إلى محكمة باتنة و حكم عليهم بما مجموعه 90 عاما و تسعة أشهر سجنا .

و تم مصادرة 3759 بندقية صيد قديمة عديمة الفعالية ، و 7929 رأس غنم و 4511 رأس ماعز ، و 266 رأس بقر ، و تم تغريم 62394 شخصا بمبلغ 706656 فرنكا لتعويض ماسمته أضرار المعمرين الأوروبيين ، و وضعت المنطقة كلها تحت الإدارة العسكرية بمقتضى قرار 22 نوفمبر 1916 رغم معارضة الحاكم العام لتو على ذلك .

و تعرض السكان لملاحقات كثيرة و قاسية و أبرز الأوروبيون كل ما في قلوبهم من حقد و كراهية للجزائريين ، و أكد النائب أوبري Aubry بأن القوات الفرنسية أحرقت قرى و مشاتي بدون سبب ، و ذكر أنه سمع بنفسه أحد الآباء الجزائريين يقول له وهو يبكي : " من المؤسف حقا أن تقوموا بحرق منازلنا و أماكن استقرارنا في الوقت الذي يُقتل فيه أبناءنا في جبهة الحرب في فرنسا و أوروبا " ، كما ذكر هذا النائب بان المتهمين كانوا يقدمون إلى المحاكمة عشرة فعشرة و لا يفهمون إطلاقا ما يقوله لهم القضاة و المحلفون ، و يصدرون ضدهم الأحكام بالسجن من ثلاثة إلى ستة أشهر ، و بسبب ذلك اضطر الكثير من الهاربين من التجنيد إلى الاعتصام بالجبال عدة سنوات كما فعل الإخوة بن زلماط .⁽³⁸⁾

و بقيت آثار هذه الانتفاضة و مأسها ماثلة في أذهان سكان المنطقة حتى اندلعت ثورة أول نوفمبر الكبرى 1954 ، و ما تزال أحداث هذه الثورة في أذهان بعض الشيوخ المسنين .

الخاتمة :

نستنتج مما سبق أن مدينة بريكة هذه المدينة التي ظهرت على خارطة بلاد المغرب الأوسط منذ بداية القرن الرابع عشر ، تعرضت في العديد من المرات إلى صراعات مختلفة بين العائلات المتحكمة في الأراضي و مع القياد الذي عينتهم فرنسا .

انتشرت الطرق الصوفية حول المنطقة و خاصة الطريقة الرحمانية التي كان رجالها و شيوخها و شيوخ المساجد يحاولون القضاء على المشروع الثقافي الفرنسي باستمرار التعليم ولو بالطريقة التقليدية .

سرعان ما استنهضت هذه الطرق همم الرجال و بعثت في نفوسهم روح مقاومة المستدمر الفرنسي ، فظهرت تمردات و ثورات وانتفاضات ، كان أولها مشاركة سكان المنطقة في ثورة الزعاطشة 1849 ، ثم تمرد أولاد سحنون في نفس العام ، سرعان ما ظهرت حركة الشيخ بوختناش الذي التفت حوله جل قبائل المنطقة ، لكن النتيجة كانت وخيمة على الجميع .

من أهم الثورات ثورة العيدين الهيدوق أفريل 1916 حيث تعرض ابنه للتجنيد الإجباري ، فكانت هذه الحادثة نقطة انعطاف في مسار الأحداث حيث التفت أعراس المنطقة حول العيدين الهيدوق معلنة ثورتها و تمردها ومن نتائجها أيضا هو إعلان أول جمهورية جزائرية بعين بومقر في أفريل 1916 ، تبعها تمرد أهل بريكة أكتوبر من نفس العام و كانت انطلاقة لثورة الأوراس الكبرى و التي لم تنتهي إلا مع عام 1917.

الهوامش :

1 - الزاب ، كلمة أعجمية أطلقت بالمشرق و هي اسم لواديين بالعراق ، و أطلقت من طرف الجغرافيين و الرحالة المسلمين على منطقة شاسعة من بلاد المغرب ، و يمكن أن تكون كلمة أمازيغية و تعني الواحة ، أو توازي باللغة العربية كلمة الصَّاب ، أو نسبة لمدينة زابي الروماني قرب مدينة المسيلة ، ينظر : أسامة الطيب جعيل ، طينة حاضرة إقليم الزاب و المغرب عبر العصور – دراسة تاريخية - ، مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 02 ، العدد 02 ، جامعة الوادي ، 2018 ، ص 401.

²⁻ أسامة الطيب جعيل ، معجم أعلام طينة في العصر الوسيط ، دار الأوطان للنشر و التوزيع ، الجزائر العاصمة ، 2019 ، ص 12 .

³⁻ بنو عامر ، قبيلة عربية تنتهي إلى قبيلة زغبة إحدى بطون بني هلال ، مواطنهم الأولى كانت مجاورة لبني يزيد جنوب سوق حمزة (البويرة حاليا) ، ثم قام يغمراسن بنقلهم إلى جنوب تلمسان ، وكان لبني عامر ثلاثة بطون هي : بنو يعقوب بن عامر ، بنو حميد بن عامر و بنو شافع بن عامر ، أنظر : عبد الرحمن بن خلدون ، ديوان العبر و المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم ، ج06 ، ضبط المتن : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، 2000 ، ص 105 .

⁴⁻ مجهول ، زهر البستان في دولة بني زيان ، ج02 ، تحقيق وتقديم : بوزياني الدراجي ، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 27-28 .

⁵⁻ الحسين بن محمد الورثاني ، رحلة الورثاني أو نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ، المجلد 01 ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط01 ، القاهرة ، 2008 ، ص 114 .

⁶⁻ receil notices et . Monographie géographique et historique de la tribu du hodna oriental- memoires de la société archéologique du département de constantine, jourdan libraire-editeur, alger , 1910 , p 233-235

⁷⁻ jean despois , le Hodna , presses universitaire de france , paris 1953 , p 103 .

- monographie ... op cit , p 235.⁸

⁹⁻ رياض بودلاعة ، موقف شيوخ الطرق و الزوايا من الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1956 ، مجلة مقاربات ، جامعة الجلفة ، المجلد 04 ، العدد 03 ، 2017 ، ص 171 .

¹⁰⁻ شترة خير الدين ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956) ، ج01 ، دار البصائر ، الجزائر العاصمة ، 2009 ، ص 82 .

¹¹⁻ بيرم كمال ، الطرق الصوفية و الزوايا بمنطقة الحضنة وموقفها من الاستعمار الفرنسي 1830-1916 ، مجلة المعيار ، قسنطينة ، المجلد 20 ، العدد 39 ، 2015 ، ص 588 .

¹²⁻ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج01 ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، بيروت ، 1998 ، ص 222 .

³¹- يحي بوعزيز ، من كفاح الجزائر في القرن التاسع عشر – أربعة أحداث في ثلاث وثائق - ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد 02، 1974 ، ص 97 .

⁴¹- بيرم كمال ، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي (1840-1954) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة قسنطينة ، 2010-2011 ، ص 42 .

⁵¹- نفس المرجع ، ص 43 .

⁶¹- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 100 .

⁷¹- بن يحي ، ثورة العيدين الهيدوق 1916م، مقال بكتاب : ثورة الأوراس 1916 ، جمعية أول نوفمبر لتخليد و حماية مآثر الثورة في الأوراس ، باتنة ، 1996 ، ص 322 .

⁸¹- عبد الحق جراف ، ثورة العيدين الهيدوق ، مجلة باتنة انفو ، عدد 02 ، جويلية 2011 ، ص 48 .

¹⁹- مقابلة مع السيد العيدين رياض ، أحد أحفاد الثائر العيدين الهيدوق ، يوم : 11 نوفمبر 2018 ، بريكة ، على الساعة 13.00 زوالا

²⁰- مقابلة مع السيد نور الدين فيني ، أحد أحفاد فيني مبارك بن فيني أحد المشاركين في ثورة العيدين الهيدوق ، يوم : 20 ديسمبر 2018 ، بريكة على الساعة 22.00 ليلا

²¹- بن يحي ، المرجع السابق ، ص 324 .

²²- عبد الحق جراف ، المرجع السابق ، ص 50 .

²³- شارل روبر أجبرون ، الاضطرابات الثورية في الجنوب القسنطيني نوفمبر 1916-جانفي 1917 ، مجلة الأصلة ، الجزائر ، العدد 62-63 ، 1978 ، ص 168 .

²⁴- أ.د يوسف مناصرية ، دراسات و أبحاث في المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 ، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2014 ، ص 82 .

batna le) incident algérie (intérieure ²⁵- M lutaud . G.G.Algérie à M. ministère de l 17/11/1916.p01.

²⁶- op.cit . p 01.

²⁷- أ.د يوسف مناصرية ، المرجع السابق ، ص 85 .

²⁸- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ج 02 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ط 02 ، الجزائر ، د.ت ، ص 57.

²⁹- نفس المرجع ، ص 58.

³⁰- شارل روبيير أجيرون ، المرجع السابق ، ص 168.

³¹- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 58.

³²- صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م) دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، 2002 ،

³³- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 59.

³⁴- Robert letan , rapport de monsieur l'inspecteur général des communes mixtes , directeur intérimaire des territoires des sud . batna 1916, p 12

³⁵- opcit. P 13

³⁶- أ.د يوسف مناصرية ، المرجع السابق ، ص 87.

³⁷- شارل روبيير أجيرون ، المرجع السابق ، ص 169.

³⁸- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 60.